قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ

الدروس والعبر

الريح المكي دفع الله*[1]

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم .

يهدف هذا البحث الموسوم بـ (دروس وعبر من قصة سيدنا سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأالدورس والعبر) إلى تحقيق الآتي:

1. قراءة القرآن بتدبر وتمعن لأنه كتاب هداية ، ودعوة إلى التأمل فيما يحتويه من قصص الأنبياء ودعوة قومهم إلى توحيد الله عز وجل ، والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منها ومراحل الدعوة وتطورها ، وعاقبة المؤمنين والمكذبين ، وأن النصر لابد أن يكون للمؤمنين مهما طال الزمن أو قصر.
2. توضيح أهمية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإنها وظيفة يقوم بها كل فرد من أفراد المجتمع صغيراً كان أم كبيراً ، فمن علم علماً وجب تبليغه ، كل على حسب طاقته وجهده خصوصاً الأمور التي تتعلق بالعقيدة لأنها أساس كل عمل من أعمال الخير ، ويأتي على قمتها :

أ. توحيد الألوهية : وهي مستمدة من قوله تعالى **:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)** [(1)] ، وهي إفراده عز وجل بالعبادة.

ب.توحيد الربوبية : هو إفراد الله عز وجل بالخلق ، والملك والتدبير . فلا رازق ولا معطي ولا مانع ولا محي ولا مميت ولا مدبرإلا الله عزوجل.

ج.توحيد الأسماء والصفات : ذلك بإثبان ما أثبته الله تعالى لنفسه ، ونفي ما نفاه عن نفسه ، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله ، أو إثباته إثباتاً بلا تمثيل ، ونفياً بلا تعطيل.

---

*عضو هيئة علماء السودان

د. بيان أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله ، وإلاّ من ارتضى من رسول فالأنبياء رغم مكانتهم السامية عند الله غير أنهم لا يعلمون شيئاً مما غاب عنهم إلا بإعلام الله لهم ، وبالقدر الذي يعينهم على تبليغ رسالتهم إلى الناس.

3. توضيح أهمية الشورى في الحكم وكونها ركناً هاماً من أركان العدالة ، فالشورى من مبادئ الإسلام السامية في نظام الحكم ، ولقد أمر الله سبحانه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ليطيب قلوب المؤمنين وليشجعهم على المضي في نشر الدين والدعوة إلى الله .
4. إبراز أهمية ما يجب عليه الحاكم من العفـــة والأمانة والعزة والكرامة والثبات أمام الإغراءات و المساومات .
5. تدريب الدعاة والقادة على اتخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب وعدم التردد في اتخاذ القرار الصعب للتغلب على الحال الأصعب.
6. بيان سمو مرتبة العلم ورفعة العلماء في الدنيا والآخرة وذلك في حادث إحضار العرش بين غمضة عين وانتباهها وأنه يتأتى بالحكمـــة والعلم والعمل ما لا يتأتى بالقوة.

وجاء البحث في ستة عناوين كانت على النحو التالى:

الأول:

وفيه بيان لقوله تعالى:(**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**) النمل "20"

الثاني:

وفيه شرح لقوله تعالى : (**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) النمل"21"

الثالث:

وفيه شرح لقوله تعالى : (**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**) النمل "22" .

الرابع

وفيه شرح لقوله تعالى : (**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**..) النمل " 23 - 26" .

الخامس :

وفيه شرح لقوله تعالى : (**قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) إلى قوله تعالى: (**اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**) النمل "27 - 28" .

السادس:

وفيه شرح لقوله تعالى : (**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**) **إلى قوله تعالى : (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** النمل "29 - 44" .

وقد اعتمد البحث على القرآن الكريم كمصدر أساسي ، والتفاسير القديمة وكتب الحديث في تخريج الأحاديث ، وغيرها من المراجع والتي أثبتها في نهاية البحث.

Abstract

The study is "The Lessons from the Story of Prophet Suleiman with the Queen of Saba'. The intention is to contemplate Koran as the holy Book urged.

The story is told in verses 20—44 of Surat Al Naml (Ants).

The story opened with the missing of the hoopoe and how the fair king Suleiman threatened punishing this absence. Here King Suleiman was seen as a fair and firm king who ensured the thoroughness of the offices and employees of his state.

The story focused on the report of the returning hoopoe that a queen and her subjects worshipped the Sun not God.

The story shed light on the reply of Queen Balgees to King Suleiman message. The study stated how the queen consulted her subjects, and the decision of sending the King a gift; then moved on to the procurement of her throne to Suleman's place and the conversion of the Queen to God's worshipping.

أولاً

تفقد الطير وغياب الهدهد

في البداية نلقي الضوء على أهم شخصيتين في هذا البحث وهما سيدنا سليمان - عليه السلام – وبلقيس مكلة سبأ .

أولاً : سليمان عليه السلام : -

هو نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام من سبط يهوذا بن يعقوب , بن إسحاق, أوصي له داود عليه السلام بالملك , فلما مات داود ورثه سليمان وكان عمره ثلاث عشرة سنة ومع حداثة سنة كان من ذوي الفطنة وحسن التدبير والسياسة , وجودة الرأي في الحكم والقضاء , يدل على ذلك فتواه في الحرث التى حكاها القرآن الكريم , وكذلك فتواه في شأن الطفل الذى تنازعته المرأتان على ما رواه الشيخان. وهو الذي بنى بيت المقدس بعد أربع سنين من توليه الملك , وانتهى من بنائه بعد سبع سنين , وأقام السور حول مدينة القدس , وبنى الهيكل – القصر الملكي - بعد أن فرغ من بناء بيت المقدس , في ثلاث عشرة سنة , وأنشأ مذبح القربان. وقد منحه الله نعماً كثيرة فقد سخر له الريح والجن ومردة الشياطين وأسال له عين القطر – النحاس المذاب – وكان جنده مؤلفاً من الإنس والجن والطير , واتسع ملكه حتى امتد من بيت المقدس إلى أقاصي اليمن وقصته مع ملكة سبأ فصلها القرآن الكريم , وفتنة سليمان التي حكاها القرآن تعنى أنه ابتلي بمرض شديد حتى صار كأنه جسد بلا روح . على اختلاف في هذه الفتنة عند المفسرين . والقرآن الكريم تحدث عن سليمان كثيراً , مرة بإيجاز ومرات بتفصيل كما في سورة النمل بدءاً من الآية 15 . إنظر النمل ,سورة .

توفي عليه السلام فلم تعلم الإنس ولا الجن حتى أكلت الأرضة عصاه فخر على الأرض وتحقق الناس من موته [1].

ثانياً بلقيس :-

بنت الهدهاد بن شرحبيل , ملكة سبأ , وصاحبة القصة المشهورة في القرآن مع نبي الله سليمان . كانت من بيت عز وجاه وملك , وحكمت مملكتها سبأ باليمن , وهي أقدم الممالك اليمنية العربية , وجاء ذكرها في التوراة, وفي بعض النقوش التي خلفها الملك سرجون ملك آشور (720 – 705 ق.م) وكانت عاصمتها مأرب بعد أن انتقلت من صرواح.

كان لبلقيس شأن عظيم في قومها ودولتها , حيث أوتيت من الملك والنعم الكثير , وكانت تعبد الشمس هي وقومها ذو العتاد والعدة في زمانهم . وقد ورد ذكر قصتها في القرآن الكريم دون التصريح اسمها , حيث إنهاعاصرت نبي الله سليمان عليه السلام الذي أتاه الله الملك , ووضع تحت يديه الإنس والجن , وأتاه علماً يعرف به منطق الطير (لغته) علم سليمان بأمر بلقيس وعبادتها وقومها للشمس دون الله فأرسل إليها يطلبها هي وقومها مسلمين مذعنين , فاستشارت وزراءها وأرسلت رسلها بهدايا ثمينة إلى سليمان لتسكته أو لتعرف نيته وتفكيره , فرفض الهدية وعادت الرسل بالهدية فتيقنت أنه نبي صادق كريم فسارت إليه بقومها مذعنة مستسلمة , وقبل وصولها أمر سليمان جنوده أن يحملوا عرشها إليه , فلما وصلت وجدته أمامها وقد تبدلت فيه أجزاء قليلة , فلما سئلت عنه قالت كأنه هو , فازدادت هدى ويقينا وأسلمت مع سليمان لرب العالمين . وقصتها مفصلة في التفاسير في سورة النمل وبعض كتب التاريخ.[2]

يبدأ عرض القصة في مشهد العرض العسكري لسليمان وجنوده بعد ما أتوا على وادي النمل : **(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)** النمل (20).

وأهم الدروس في هذا المشهد تتمثل في الآتي:

1. للطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم – هي لغاتها ومنطقها فيما بينها ، والله سبحانه وتعالى خالق هذه العوالم .

وهي لا تكون أمماً حتى تكون لها روابط محددة تحيا بها . ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها . ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن طريق الجزم واليقين.

وأما ما وهبه الله سليمان – عليه السلام – من معرفة لغة الطير فكان شيئاً خاصاً به ، عن طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر . لا على طريق المحاولة منه والاجتهاد .

2. سنة الله في الخلق جرت على أن يكون للطير إدراك خاص يتفاوت فيما بينه ، ولكنه لا يصل إلى مستوى إدراك الإنسان وإن خلقة الطير على هذا النسق حلقة في سلسلة التناسق الكوني العام ، وإنها خاضعة - كحلقة مفردة – للناموس العام ، الذي يقتضي وجودها على هذا النسق الذي وجدت به.

3. حكم سليمان عليه السلام الإنس والجن والطير ، قال تعالى : (**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**)[3] وطاعتهم له وانقيادهم لأمره ، حيث كان الطير من جملة جنده لأن كثيراً من الطير صالح للإنتفاع به في أمور الجند ، فمنه الحمام الزاجل والذي يستخدم كوسيلة لحمل الرسائل، ومنه الهدهد لمعرفة الماء ومنه البزاة والصقور لصيد الملوك وجنده ، كوسيلة من وسائل الترفيه والتسلية.

4. واضح أن سليمان عليه السلام كان يعرف كل صغيرة وكبيرة من أمر جنده ، وعلى أي خلل يقوم به أحد منهم ، وفي الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته ، والمحافظة عليهم ، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف عليه حاله.

5. ومن إيحاءات هذه الآية أيضاً ، ينبغي على المسلم أن يتفقد أهل بيته وأن يتعرف على أصدقاء أبنائه وصديقات بناته ، فالمرء على دين خليله ، والصديق يتأثر بأخلاق صديقه ، فالتيقظ مطلوب من كل من كانت له رعية ، وفاءً بحق من جعلهم الله تحت ولايته ، وليعلم كل مسلم أنه سيسأل عن ذلك يوم القيامة ، أحفظ أم ضيع؟ .

6. في الآية دليل على محاسبة النفس ومراقبتها إذا قصرت في حق الله . فقد قال سليمان – عليه السلام - (مالي لا أرى الهدهد) والأصل في العبارة قلب: أي مال الهدهد لا أراه؟ هو كقولك : مالي أراك كئيباً ؟ أي مالك كئيباً ؟ وهنا نجد سليمان سليمان – عليه السلام - سأل عن حال نفسه لا عن حال الهدهد فأنكر حاله ، وشك في أمره أولاً ، وانتقد أعماله ، وتفقد أحواله قبل أن يحاسب الآخرين .

فإن النعم تدوم وتبقى بالطاعات ، وترفع وتزال بالسيئات . فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ولذلك فعلى الإنسان أن يتفقد أحواله وينظرإلى عيوبه أهو على خير أم تسرب إلى قلبه شيء من الشر دون أن يشعر ؟ ، أو لعله مقيماً على خطأ أو حاد عن جادة الطريق وهو لا يدري؟.

فلابد إذن من محاسبة النفس دوماً لتطهيرها مما علق بها من الشوائب والأكدار.

7. ومعرفة سليمان لمنطق الطير ليس باجتهاد منه وإنما هي معجزة من معجزات سليمان عليه السلام. والمعجزة مأخوذة من العجز وهو عدم القدرة.

والمعجزة في الاصطلاح : هو أمر خارق للعادة يجري على أيدي الأنبياء للدلالة على سلامة المعارضة .

8.الإعجاز القرآني في اختيار جنس الهدهد بالذات دون سائر أصناف الطير الأخرى.

فالهدهد قريب في لفظه ومعناه من (الهدى) و (الهداية) ولذلك جعله الله سبباً اهتدت به مملكة سبأ إلى الإسلام ، والهدهد طائر رقيق جميل المنظر ، يحمل رأسه تاجاً من الريش يسر الناظرين.

9. على عكس الهدهد فإننا نرى استعمال القرآن للفظ الغراب كما جاء في قوله تعالى : **(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (*) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)**[4].

فجاء ذكر الغراب عند سفك الدماء في قصة آدم أبو البشر عندما قتل قابيل أخاه هابيل وهو أمر غريب لم يحدث في الأرض أن ارتكبت من قبل جريمة قتل ، حيث كانت أول جريمة سفك دم حرام في تاريخ البشرية . ولذا اختير الغراب ليناسب غرابة الموقف. وقد رأينا كيف اختير اسم كلاً منهما في موضعه المناسب الذي اختاره الله له .

10. ينبغي للداعية أن يكون نظيفاً في جسمه وأنيقاً في مظهره ، يسر الناس برؤيته وتنشرح صدورهم برائحة طيبه.

وحسن المظهر وجمال الهندام أمر دعا إليه ديننا الحنيف لأنه مقتضى الآداب التي يجب ان يتحلى بها المسلم ، قال تعالى :**(يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)**[5].

11. ينبغي للدعاة خصوصاً ، وسائر المسلمين تحسين أسماء أبنائهم وبناتهم لأن هذا من تعاليم ديننا الحنيف ، وكان - صلى الله عليه وسلم- شديد الكراهية للأسماء القبيحة حيث كان يغير الأسماء القبيحة بالحسنة.

وهذا من باب الفال الحسن لا من باب الطيرة . كما أن هناك علاقة ورابطة بين أصحاب الاسم الحسن والاسم القبيح وبين أفعالهما وخصالهما .

فالألفاظ قوالب للمعاني والأسماء ، فقبيح الاسم عنوان قبح المسمى ، كما أن قبح الوجه عنوان قبح الباطن.

ثانياً

المتهم برئ حتى تثبت إدانته

قال تعالى :(**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) [1]

فى هذا المشهد تظهر شخصية سليمان عليه السلام كحاكم دولة . ويتضح لنا فى هذه الآية كثير من العظات والحكم ومنها :

1/ الحزم ويظهر ذلك عند رأس القيادة والتى يمسك سليمان بزمامها حيث غلب الظن عنده أن هناك تقصيراً أو تكاسلا عن الحضور وقت الطلب أو التاخر وقت العمل (لأعذبنه ....) فإنه قد تبين لسليمان عليه السلام أن الهدهد غائب ، فتهدد بذلك أمام الجمع الذي يعلم أن الهدهد غائب حتى لا يكون غيابه _ إن لم يؤخذ بالحزم _ سابقه سيئة لبقية الجند ، فإن الجيش في حالة استنفار وتخلف جندي من جنوده فى مثل هذه الظروف يعد خيانة عظمى ، فقد يحتاج إليه لأمر هام وخطير وقد يترتب على غيابه ضرر مستطير .

2/ التريث والتأني قبل الحكم فلعل للغائب عذرا ، أو للمقصر حجة تدفع الإثم ، وترفع العقوبة ولهذا قال سليمان بعدها (أوليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة تبين عذره فى غيبته .

هذا هو اللائق بالحكم ، إذا كان القاضي عادلا . وسليمان عليه السلام والذي اشتهر بالعدالة لا ينتظر منه مع الهدهد أو ما دونه او ما فوقه إلا أن يكون عادلاً لا يعاجل بالعقوبة قبل ثبوت الجريمة ، ولا يبادر إلى المؤاخذة قبل سماع الحجة[2].

3/ يباح لسليمان عذاب الهدهد أو ذبحه لتأديب غيره لما يراه فى ذلك من المصلحة للمحافظة على كيان الدولة . كما أبيح ذبح الحيوان للأكل والانتفاع بلحمه وشحمه وجلده . وغيره من

المنافع ، وإذا سخر له الطير ، ولم يتم ما سخر من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به[3] .

4/ وفى الآية دليل على أن الطير كانوا مكلفين ، إذ لايعاقب على ترك فعل إلا من كلف ذلك الفعل ، فقد تكون الطيور في زمن سليمان عليه السلام مكلفة ببعض الأعمال والمهمات .

كما أن الحيوانات عموما مكلفة بألا يظلم بعضها بعضا ، فالله عز وجل يقتص يوم القيامة للشاة الجلحاء (أى التى ليس لها قرون) من الشاة القرناء إذا نطحتها ظلماً وعدواناً بدون حق [4].

5/ وفى الآية دليل على أن الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد ، ولكن يرفق بالمحدود ، فى الزمان والصفة فمن ارتكب إثماً طبق عليه العقاب ، وأخذ بذنبه ، بقطع النظر عن كونه صغيراً أو كبيراً أو شريفاً أو وضيعاً ما دام مكلفا مسؤلاً.

6/ لابد للدولة من قوانين حتى تضبط الأمور ، بحيث يعاقب المسئ ويحسن للمحسن ، ولابد من التدرج في تقرير العقوبة ، وهذا عين العدالة ، ولهذا لم يقطع سليمان عليه السلام بقرار واحد فى العقاب عند ثبوت الخطأ بل يتوقف على حجم الخطأ .

7/ إن غرض سليمان من تهديد الهدهد بالعذاب أو القتل هو تخويف لمن تسول له نفسه مخالفة النظام , أو شق عصا الطاعة والخروج على الإمام فليس الأمر قسوة ، بل هو حزم وحرص على الإنضباط اللازم لتماسك الجيش وسلامة أفراده .

8/ في الآية إشارة إلى القاعدة القانونية : (المتهم بريء حتى تثبت إدانته) وعلى الحاكم أن لا يتسرع في إصدار الأحكام ، بل لابد من التريث وسماع حجة الخصم .

9/ يقصد بالسلطان المبين هنا : الحجة القاطعة التي تبين عذره في غيابه . ولكلمة السلطان استعمالات متعددة في اللغة ، فهى ترد بمعنى ،العلم وبمعنى ، الحجة والبرهان ، وبمعنى ، التسلط والتمكين وبمعنى الحكم[5] .

فمن لطف المناسبة ، وعجيب التوافق أن ما أتى به الهدهد من الحجة والبرهان ، والذي عبر عنه سليمان بكلمة السلطان كان أيضاً علاقة بكلمة السلطان التى هي بمعنى الملك ، فكأنما عاد الهدهد من رحلته بكلا الأمرين في وقت واحد ، فجاء بحجة البرهان ، وجاء أيضاً بقوة السلطان ، فقد حمل في جعبته أخباراً عن مملكة سبأ فهو يتكلم عن العرش والملك والسلطان .

10/ يستفيد الدعاة من هذه الآية التحلي بصفة الأناة ، والأناة مظهر من مظاهر خلق الصبر ، وهي من صفات أصحاب العقل والرزانة بخلاف العجلة . فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش ، وهي تدل على أن صاحبها لا يملك الإرادة القوية القادرة على ضبط نفسه تجاه انفعالاته العجولة .

11/يستفيد الداعي من هذه الآيه أيضاً صفة التثبت فى الأمور قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** [6].

12/ على الداعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحلي بصفة التروي والاستخبار قبل الإنكار .

13/ ليعلم الداعية أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى فذكاء الذكي لا ينفعه في كل موطن وإلا لنفع الهدهد ، فإنه يهتدي إلى الماء وهو على ظهر الأرض ثم ينصب له صبي فخاً فيصيده.

وقد سئل بن عباس رضي الله عنهما في شأن الهدهد أنه يرى الماء في باطن الأرض وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه فقال : إذا جاء القدر عمي البصر[7] .

ثالثاً

العودة بالخبر اليقين

في هذا المشهد يأتي الهدهد بأخبار جديدة كانت عذراً في غيابه .

قال تعالى : (**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**) النمل (22).

ومن الدروس المستفادة من هذه الآية ما يلي :

1/ المكث يفيد التأخر والإنتظار والتوقف :

بينما قوله (غير بعيد) يفيد العجلة وعدم التأخر كثيراً ، وهذا يشير إلى أن الغيبة وإن كانت موجبة لدفع العقاب إلى حين , حيث أنها قامت مقام العذر ، فإنه من الكياسة عدم التمادي في التأخير ، وسرعة الرجوع لتدارك ما فات ، فإن الإنسان وإن كان محقا ، وحبسه عذر مشروع فإن ذلك لا يعني أن يتمادى في التأخير استناداً إلى ما معه من رخصة تسمح له بالمخالفة .

2/ المبادرة إلى ترك الإستثناء والعودة إلى الأصل , حتى لا تثار الشكوك والشبهات فى نفوس الناس ، وحتى ينأى المؤمن عن مواضع التهم فليس كل إنسان تعرف حقيقة أمره ، بل كثير منهم لا يرون من الأمور إلا ما ظهر منها.

3/ بيان مدى ما يتمتع به سليمان – عليه السلام - من محبة ومهابة في قلوب رعيته بحيث لا يظهر أحدهم بمظهر المستهتر الذي لا يبالي بغضب رئيسه ، بل يحرص كل أحد منهم على طاعته وعدم مخالفته ، وإن كان لديه فى ذلك رخصة ، حتى أن الهدهد الذى تخلف لعذر وجيه ، وحجه قوية ، لم يقدر على التخلف زمنا طويلا .

4/ نلاحظ تمتع الهدهد بحس أمنى رفيع ، وعقلية استخباراتية عالية ، ويظهر لنا هذا من خلال تسلل الهدهد من دون علم أحد حتى القائد المباشر ، لم يعرف مكانه عندما سأل : مالي لا أرى الهدهد ؟ فكتمان السر حتى عن أعز الأقرباء والأصدقاء ، وشدة الملاحظة لكل ما يبدو للعيان من المتغيرات التي تحدث ، من الصفات اللازمة لرجل الأمن[1].

5/ في قوله(أحطت بما لم تحط به) إشارة إلى مكانة العلم ، وفضيلة تحصيله ، وأن العلم بحراً لا ساحل له ، وفيض لا ينقطع ، ومن أطلعه الله عز وجل على أشياء فقد تخفى عنه أشياء أخرى.

فالعلم ليس له نهاية ، والعالم مهما بلغ من العلم درجات فإنه لايتوقف عن طلبه . ولقد أمر المولى عز وجل رسوله بالتزود من العلم فقال تعالى : (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**)[2].

6/ نلاحظ أن الهدهد كان يتكلم مع سليمان – عليه السلام- في ثقة وثبات وهو يعلم أنه ملك يستطيع ذبحه أو تعذيبه ونتف ريشه وذلك لأنه معه الحق ، ومعه العلم الذي يكافح به سليمان .

وليس خطاب الهدهد لسليمان خطاب المذنب الخائف الذي يرتجف وترتعد فرائصه ، ولذلك لم يقدم عبارات الإعتذار والندم والثناء والمديح . هذا الموقف الجرئ من الهدهد يرجع إلى شعوره أنه معه الحق ، والحق يمنح الإنسان قوة فينطلق لسانه ليصدع بما يؤمن به ويعبر عما يختلج فى أعماق نفسه . بينما أهل الباطل تجدهم يتلعثمون في نطقهم ويترددون في عباراتهم ولذلك يقال في الأمثال : الحق أبلج والباطل لجلج .

7/ ومن حديث الهدهد يتبين لنا قوة إيمانه ، وشدة حبه وإخلاصه للحق وولائه لنبي الله سليمان – عليه السلام - الملك القائد ، وقوة بيانه ، وبلاغة تعبيره ويتجلى ذلك واضحاً في دقة الوصف والتحليل وحسن المطلع والختام .

نلاحظ أن خطابه اتسم في أوله بالقوة والشدة (أحط بما لم تحط به) متناسبا مع تهديد سليمان –عليه السلام - ووعيده في بداية كلامه (لأعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه) .

ثم كان كلام الهدهد في عجز الآية (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) يفيض رقة وعذوبة ولينا . وذلك ليتناسق مع قول سليمان – عليه السلام- أيضا فى نهاية كلامه (أو ليأتينى بسلطان مبين) والذي اتجه فيه نحو العفو والتسامح والوداعة .

وهكذا كان كلام الهدهد يتناسب مع كلام سليمان حدة وخفة وقوة ورقة . فقد قابل شدة بشدة ، ولیناً بلين ، ولذلك لم يتكلم سليمان – عليه السلام - عن العقوبة بعد سماعه لكلام الهدهد ، بل اختفى ذكر ما تهدده به من السياق ، كأنه لم يتوعده من قبل ، بل كأنه لم يكن هناك ذنب يستحق المؤاخذة والعقاب .

8/ يتعلم المسلم والدعاة من سليمان – عليه السلام- أن على الكبير أن يسمع للصغير ، وأن ينظر في كلامه ، فقد يكون في أصغر المخلوقات من يعلم أموراً يجهلها من هو أشرف منه

مكانه ، وأرفع قدراً وكفى بذلك زاجراً لإعجاب كل ذي علم بعلمه ، أو الترفع عن الاستفادة ممن هو دونه ، فعلى الإنسان أن يتواضع ، وأن يبتعد عن الإعجاب بعلمه ، فإنه إن علم شيئاً فقد تخفى عليه أشياء ، وإن حصل علما فهناك من هو أعلم منه ، ففوق كل ذي علم عليم وصدق الله تعالى إذ يقول : (**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**)[3] .

9/ وفي الآية رد على من قال أن الأنبياء تعلم الغيب ، فإنهم رغم مكانتهم السامية عند الله إلا إنهم لا يعلمون شيئاً مما غاب عنهم إلا بإعلام الله لهم ، فليس لهم كشف عام عما يجري في هذا الكون ، إنما يعلمون من ذلك ما أطلعهم الله عليه وبالقدر الذي يعينهم على تبليغ رسالتهم إلى الناس ، قال تعالى : (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (*) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (*) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**)[4].

10/ فى الآية دليل بإشارة النص على بطلان قول الرافضة : أن الإمام ينبغى أن لا يخفى عليه شيء من الجزئيات : وأنهم عنوا بهذا القول أنه يجب أن يكون الإمام عالماً على التفصيل بأحكام جميع الحوادث الجزئية التي يمكن وقوعها ، وأن يكون مستحضرا الجواب الصحيح عن كل ما يسأل عنه .

وقد سئل الإمام علي كرم الله وجهه وهو على منبر الكوفة ، مسألة فقال لا أدري .

فقال السائل : ليس مكانك هذا مكان من يقول لا أدري .

فقال الإمام علي : بلى والله ، هذا مكان من يقول لا أدري ، وأما من لا يقول ذلك فلا مكان له – يعني به الله عز وجل – هذا من سرعة بديهة الإمام علي وحدة ذكائه .

11.وجوب أن تكون الأخبار والمعلومات التي يقدمها المسلم لولي الأمر صادقة صحيحة بينة ، وأن يتاكد منها ، ويتثبت منها قبل تقديمها لقول الهدهد (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) ووصف نبأه بـ(يقين) تأكيد لكون ما سيلقى عليه محقق لا شبهة فيه فوصفه بالمصدر للمبالغة.

12.في الآية إشعار بأن يتجول الداعية في الأرض ويرتحل إلى أقطارها ليسطع نور الحق في أرجائها ، دأبه جمع المعلومات الصحيحة وإحاطة بالأخبار الدقيقة في أحوال الأمم والشعوب ليرفد الدعاة والمصلحين وأولي الأمر بخبراته وتجاربه ، فإن معرفة أحوال الممالك والأمم من أهم ما يعنى به الملوك لتكون من دواعي الازدياد من العمل النافع للملكة بالاقتداء بالأحوال المفيدة والخصال الحميدة واجتناب الأحوال السيئة.

13.على المسلم أن يكون سباقاً لفعل الخير و إن لم يطلب منه ذلك كما أن هناك أموراً تحتاج إلى سرعة إتخاذ القرار من غير تأخير أو تردد ، وإلا ضاعت الفرصة ، ووقع الضرر ، وتحققت الخسارة.

14.يستفيد الدعاة من الهدهد ، وكذلك كل مسلم بأن لا نكون أسرى للنص ، وألاّ نجعله عائقاً يمنعنا من فعل الخير ، فالمؤمن يعرف الغاية التي من أجلها بعث الرسل ، فهم ما جاءوا إلا لتحقيق الخير للناس وجلب المصالح لهم ودفع الفساد عنهم ، فكذلك المؤمن يتمتع بالمرونة والواقعية في تعامله مع النصوص فيتصرف حسبما يقتضيه الموقف دون تزمت أو جمود وأيضاً دون خروج من مقاصد الشريعة.

15.على المسلم أن يتحلى بسعة الصدر في الاستماع إلى اعتذار المعتذر ، وحجة المتخلف ، وسليمان – عليه السلام – أنصت لاسترسال الهدهد حتى انتهى من قوله ، رغم أن فيه نوع من المعاتبة لسليمان ، ونسبة عدم الإحاطة إليه ، كل هذا وسليمان لا يقاطعه ولا يكذبه ولا يعنفه حتى انتهى من سرد الحجة التي كانت مفاجأة ضخمة لسليمان سليمان – عليه السلام- .

16.قبول الاعتذار ممن يعتذر في الظاهر وتفويض سريرته إلى الله تعالى ، فسليمان – عليه السلام – سكت عن المؤاخذة ، وانتقل إلى تحري الخبر.

قال القرطبي : (هذا دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته ، ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم ، لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حتى اعتذر إليه) [5].
فالاعتذار الصحيح مقبول عند أهل الحق والإيمان.

17. كل فرد في المجتمع الإسلامي حريص على مصلحة هذا المجتمع ومجند لخدمته وساع من أجله ، فالهدهد ذهب إلى سبأ ليقدم من هناك أخباراً أو معلومات لمصلحة وخدمة مجتمعه و بنقله هذه المعلومة لسيدنا سليمان – عليه السلام- تسبب في هداية أمة كاملة فحولها من الكفر إلى الإيمان . فلنرتق إلى مستوى هذا الهدهد من نقل المعلومات التي يمكن أن ترفع من شأن الأمة الإسلامية في أجهزتها الاستخبارية أياً كان نوع المعلومة (اجتماعية – اقتصادية – زراعية - أو ما يتعلق بالجوانب العسكرية).

18.في الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير و المتعلم للعالم : عندي ما ليس عندك ، إذا تحقق ذلك وتيقنه ، ومن الصفات التي حث عليها الإسلام والتي يجب أن يتحلى بها الداعية ، التواضع للعالم والمربي [6].

رابعاً

وصف مملكة سبأ وبيان ضلالهم وفساد اعتناقهم

قال تعالى : **(إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (*) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (*) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (*) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)** [1].

في هذا المشهد ضمن الهدهد إصغاء الملك له بعد المفاجأة التي أتى بها والتي طغت على موضوع غيبته ، فأخذ في تفصيل النبأ اليقين الذي جاء به من سبأ ، فذكر أنه وجدهم تحكمهم امرأة وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وهي كناية عن عظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع.

ويمكن تلخيص أهم ما يستفاد من هذه الآيات في الآتي:

1. حاكمة سبأ كانت امرأة ، ونقل كثير أن اسمها بلقيس بنت شراحيل ، ونسجوا حولها كثيراً من الأخبار والأحاديث التي هي أقرب للخيال منها للحقيقة ، والتي لم تنقل بأحاديث صحيحة ولهذا فنحن علينا أن نتوقف كثيراً في سرد هذه الأخبار.

2. وفي قول الهدهد دلالة على فصاحته وبلاغته – فهو لم يقل : (إني وجدت ملكة عليهم) ولكنه قال : (إني وجدت امرأة تملكهم).

وكأنه بهذه الأخبار يعجب ويدهش من قوم سبأ الذين اختاروا امرأة أن تكون ملكة عليهم ، وكان الأولى بهم أن يختاروا ملكاً لا أن يسلموا الزمام لامرأة ، فالمرأة فطرت على تقدم العاطفة على العقل ، وجبلت على أن تنقاد لا أن تقود وعلى أن تُحكم لا أن تَحِكم.

3. إيجاز الهدهد في وصفه قوة ملكة سبأ في قوله : (وأوتيت من كل شيء) ولعل هذا الشيء شاملاً لكل مظاهر وألوان وأنواع الخير والقوة والتمكين ، فقد منحها الله من كل شيء طرفاً سواء كان في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو في الرزق مثل الأشجار والثمار والمياه والأمطار والأموال وغيرها.

4. وقد شد انتباه الهدهد في مملكة سبأ عرش بلقيس ، ولذلك خصّه بالذكر دون سواه.

والعرش هو سرير الملك ورمز السلطان فعلى قدر فخامته وضخامته و المهابة تكون درجة الملك أو الملكة من الغنى والقوة و المهابة.

ويبدو أن عرش بلقيس كان بديعاً ونفيساً . والمرأة بطبيعتها تميل الى الزينــة و حب الزخرف.

وقد لا يكون لسليمان – عليه السلام- عرش مثل عرشها مع قدرته على ذلك وقد يرجع ذلك إلى زهده في الدنيا ، إذ أن قلبه لم يكن متعلقاً بزخارفها كما أن جانب النبوة عند سليمان – عليه السلام- أقوى وأظهر من جانب الملك وأبهة السلطان.

5. فإن قيل: كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم .

والإجابة هي : أن بين الوصفين فرق شاسع لأن وصف عرشه بالعظيم ، تعظيم له بالإضافة إلى أبناء جنسها من الملوك ، ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى ما خلق من السماوات والأرض [2].

6. اهتمام الهدهد بمعرفة دين ملكة سبأ وقومها حين رآهم يسجدون للشمس من دون الله, ولأجل الاهتمام بهذا الخبر أعيد فعل (وجدتها) إنكاراً لكونهم يسجدون للشمس.

7. في قول الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) دقة في التعبير ، وبلاغة في الوصف ، فقد حذف أداة العطف من هذه الجملة ، وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها ، إيذاناً بأنها هي المقصودة وما قبلها توطئة لها.

8. حين تكلم الهدهد عن أحوال مملكة سبأ الدينية قال في وصفهم (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) ولم يقل (وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله)، فلماذا جاء بكلمة السجود بدلاً من العبادة؟.

لعل في هذه إشارة من الهدهد أنه لا يمكن أن توجد عبادة بدون سجود ، فالسجود هو روح العبادة ، ورمز الخضوع والطاعة ، ورمز للتذليل والإنكسار وقد ذكر في القرآن كثيراً قال تعالى: **(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)** [3] ، وفي الحديث : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) [4].

9. بالرغم من أن قوم سبأ قد بلغوا غاية الرقي في أمورهم الدنيوية ، وحياتهم المادية ولكنهم انحطوا إلى هذا الدرك المهين في أمورهم الدينية .

10. قد جمع قول الهدهد إلى سليمان –عليه السلام - أصول الجغرافية السياسية من صفة المكان والأديان ونظام الحكم وبيان الوضع الاقتصادي .

وقد وقع الاهتمام بأخبار مملكة سبأ لأن ذلك أهم لملك كسليمان ، إذ كانت قريبة لمملكته فأمورها أجدى بعلمه .

11. غيرة الهدهد على التوحيد والإيمان ، ولذلك أنكر على قوم سبأ سجودهم للشمس وتعجب من عدم سجودهم لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ، ويعلم ما يفعله كل الناس ، فهو وحده رب العالمين ، رب العرش العظيم.

لقد كان الهدهد داعية إلى الإيمان ، محارباً للشرك والكفر ، صاحب حس أمني وغيرة دينية.

12. وظيفة الشيطان هي تزيين الباطل لإغواء بني آدم ، وهذا ما حكاه القرآن في قوله عز وجل:(**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)** [5].

13. نلاحظ أن الهدهد قال : (فصدهم عن السبيل) ولم يقل (فصدهم عن سبيل الله) فكلمة السبيل إذا أطلقت هكذا دون إضافة فهي لا تنصرف إلا على سبيل الله ، فهو وحده السبيل ، وكأن غيره من السبل لا يصلح أن يطلق عليه (سبيل) أصلاً ، فهي سبل لا تؤدي إلى شيء ولا تصل بسالكها إلى خير فهي سبل معوجة ، وطرق وعرة ، والسائر فيها في تخبط وتعثر وضلال.

14. تندرج تحت كلمة الخبء معانٍ كثيرة ، فالخبء هو كل ما غاب واختفى عن الأنظار .

وقد ذكر العلماء عدة تفسيرات لخبء السماوات فمنهم من قال : إنه المطر الذي يكون محفوظاً في السحاب ثم ينزله الله لنفع البلاد والعباد، ومنهم من قال: إنه إشراق الكواكب التي يظهرها الله بعد أن تختفي والشمس داخلة ضمنها.

وأما خبء الأرض الذي يخرجه الله منها ، فمن العلماء من قال : هو الماء الذي يخرجه من الأرض .

ومنهم من قال هو الزرع و النبات ، قال تعالى **(أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)** [6].

15. بالإضافة إلى ما سبق ذكره ، فإن الهدهد قد يشير من طرف خفي إلى إخراج الناس من قبورهم للحساب يوم القيامة ، والقرآن يستخدم كلمة (الإخراج) وكلمة

(الخروج) عند الحديث عن البعث والنشور كما في قوله تعالى (**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**) [7].

16. حينما أراد الهدهد أن يتكلم عن سعة علم الله وقدرته ، فإنه اختار وصفاً رائعاً ليعبر به عن ذلك فقال : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض) ، فاستدل الهدهد بقدرة الله على إخراج الخبء على استحقاقــه للسجود والعبادة.

وهو اختيار موفق فإخراج الخبء يتناسب مع طبيعة الهدهد وحياته ، فهو يعتمد في تحصيل طعامه على ما يخرج من التراب ، فقد حباه الله بمنقار طويل ليسير له الحصول على غذائه كما أن لديه القدرة على معرفة موضع الماء تحت باطن الأرض.

ولذلك فإن كلام الهدهد عن ربه عز وجل ، نابع من وحي بيئته ومن تجربته الخاصة التي يباشرها كل يوم ، ولذلك جاء بشيء يمس شغاف قلبه ، ويشعر به في أعماق نفسه ويرى فيه عظمة ربه.

17. في الوصف السابق تناسب أيضاً مع المهمة التي خرج من أجلها . فقد خرج باحثاً مسكتشفاً وهداه الله إلى مملكة سبأ ليأتي سليمان بخبرها ، فهو بذلك كأنه أخرج له شيئاً مجهولاً من عالم الغيب وكشف له أمراً كان مخبوءً ومستوراً عنه.

18. في قوله : (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) توضيح بأن الله يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وبيان لسعة علم الله وشموله وإحاطته .

كما أن تقديم الهدهد لـ (تخفون) على (تعلنون) يتناسب مع ذكره في صدر الآية من قدرة الله عز وجل على إخراج الخبء من السماوات والأرض .

19. في قوله (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) وصف العرش بالعظيم لأنه أعظم الأجرام ، وكل شيء يتضاءل دونه ، فالسماوات والأرض وما فيهن وما بينهن من عوالم ومخلوقات وأجرام بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة ، ولعل الحكمة من ذكر العرش العظيم هو الدعوة إلى عدم اغترار الناس بمظاهر الحياة الدنيا ، وتواضعهم عند حصولهم على بعضها.

خامساً

الهدهد سفير سليمان - عليه السلام - إلى مملكة سبأ

قال تعالى : **(قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (*) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)** النمل (27) (28).

بعد أن انتهى الهدهد من بيانه الذي أوضح فيه سبب غيابه ، وحالة مملكة سبأ نجد أن سليمان – عليه السلام- في هذا المشهد لا يتسرع في تصديقه أو تكذيبه ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاء به ، بل نجده يستعمل الحيطة للتاكد من صحته ، شأنه شأن النبي العادل والملك الحازم.

ويمكن تلخيص أهم الفوائد من هاتين الآيتين في الآتي:

1. وجوب تأكد الحاكم من صحة الكلام الذي يقدم إليه ، وعدم قبوله مباشرة بل لابد من التروي في تصديق الخبر.

فسليمان – عليه السلام – يعلمنا أنه ينبغي التوقف عند سماع الأخبار وألاَّ نقبل خبر المخبرين ، مسايرة لهم ، بل ينبغي تقليب الأحداث ونقدها للتأكد من صحتها ، قبل اتخاذ أي قرار[1].

2/ ورد فى كلام الهدهد أمران :

أ/ أنه وجد امرأة تملكهم وهى تملك كل شيء. ولها عرش عظيم ، وإنهم يسجدون للشمس.

وهذا أمر يدرك بالعين . فهو واضح بين ولا يختلف عليه اثنان .

ب/ قوله تعالى : (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)

وهذه الإفادة لا تدخل في باب الرؤية بالعين . فهو حقيقة لم ير الشيطان وهو يزين لهم أعمالهم أو يصدهم عن السبيل . ويصرفهم عن عبادة الله . بل يدخل هذا تحت باب الرأي وهو مظنه الصواب والخطأ ، والصدق والكذب ، هنا يكون موطن الزلل ، فهذا رأى وليس بنبأ يقين ، ولذلك حاسبه سليمان عليه السلام على عدم إلتزامه بالمهمة التي حددها هو لنفسه ، وهو ذهابه إلى مملكة سبأ ليأتي سليمان بهذا النبأ لذلك اضطر سليمان عليه السلام أن يقول له : (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) .

3/ أراد الهدهد بذكره للشيطان وتزيينه وصده أن يستثير النخوة الإيمانية والغيرة على الدين والعقيدة في قلب سليمان – عليه السلام- ، وذلك ليصرف عزيمته وهمته لغزو مملكتهم وحملهم على الإيمان حملا .

ولكن أنبياء الله ليسوا كذلك ، فهم لا يندفعون مع العواطف ولا ينساقون وراء المشاعر .

وهذا هو الفرق بين الأنبياء فى تفكيرهم الموضوعى . ونظرتهم المتزنة للأمور ، وبين المندفعين والمتحمسين الذين يفكرون بعواطفهم ، فيكون من ذلك الزلل والخطأ ، والخلط بين الأمور .

4/ نستشف من القول السابق أنه لابد للدولة المسلمة أن تهتم بالأجهزة الأمنية ، وتحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين ، وعقيدة التوحيد .

5/ فى إرسال سليمان – عليه السلام - كتابه مع الهدهد إلى ملكة سبأ . يدل على وجوب المسارعة إلى الخيرات ، وتوظيف الطاقات والاستفادة من الإمكانات المتاحة فى نشر الدعوة.

وأن يتاح المجال للداعية ذي الخبرة بأحوال المدعوين أن يتبوأ الصدارة فى دعوتهم ومتابعة شئونهم وهذا ما فعله سليمان – عليه السلام - ، إذ أوكل هذه المهمة للهدهد .

6/ فى الآية إشعار بأن على الدولة الإسلامية أن تستفيد من المهارات والمواهب المودعة فى كل فرد من أفراد الرعية وتوظيفها التوظيف الصحيح ووضع الشخص المناسب فى المكان المناسب . وهذا ما فعله سليمان عليه السلام فقد كان فى مملكته أعداداً ضخمة من الإنس والجن الأقوياء وغيرهم ، ما كان يمكن أن يقوم بتلك المهمة ولكن سليمان اختارالهدهد مع ضعفه وصغر حجمه لتأدية هذه المهمة ، لما عاين فيه من أمارات العلم والحكمة [2].

7/ في حمل الهدهد للكتاب والتزامه وامتثاله لما أمره به سليمان عليه السلام يدل على وجوب السمع والطاعة للحاكم والقائد المسلم ، وأن تكون التكليفات واضحة وفى حدود الإمكان . بقدر طاقة المكلف وقدراته .

8/ لابد للقيادة فى الدولة المسلمة أن تهتم بنصرة دعوة التوحيد ، وبذل الوسع فى تبليغها لكل مكلف .

فإن سليمان – عليه السلام - لما استمع إلى خبر القوم المشركين ، شمر عن ساعد الجد فى إيصال البلاغ إليهم وبدأ معهم بالحجة والبيان (اذهب بكتاب هذا .....) .

وفي هذه الآيه دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ، ودعوتهم إلى الإسلام ، وقد كتب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى قيصر وكسرى ملكا الروم والفرس [3] .

9/ قوله تعالى : (ثم تول عنهم) أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك . بمعنى : وكن قريباً حتى ترى مراجعتهم .

سادساً

موقف بلقيس من رسالة سيدنا سليمان عليه السلام

قال تعالى : **(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (*)إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (*) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (*) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (*) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (*) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (*) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)** الى قوله تعالى : **(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** النمل 29 – 44 .

فى هذا المشهد نستمع إلى حوار سياسي بارع بين الملكة وحاشيتها ، فنسمع ملكة سبأ تخاطب ملأها وتعلن عليهم نبأ الكتاب الذي وصل إليها فتصفه لهم من خلال رؤيتها فتتهيأ الأذهان وتتفتح الأسماع ونلحظ من خلال هذه الآيات ما يلي :_

أولا : وصف الرسالة :

1/ وصفت الرسالة بالكرم ، لكرم مضمونها ، وأنها من عند ملك كريم ، وقيل كرم الكتاب لأنه مختوم ، وختم الكتاب من تمام حسنه وكرمه وقيل وصف الرسالة بالكرم لأن الرسول كان طيراً ، فعلمت بلقيس أن من تكون الطير مسخرة له لابد أنه عظيم الشأن كريم المنزلة [1] .

ثانيا : مضمون الرسالة :

(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)

1/ كيف استجاز لسليمان - عليه السلام- تقديم اسمه فى الكتاب على اسم الله تعالى ؟

قيل : لأنه عرف أنها لا تعرف الله تعالى ، وتعرف سليمان - عليه السلام- ، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى إذ كان أول ما يقع نظرها عليه ، فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى وقيل : ان اسم سليمان- عليه السلام- كان على عنوانه واسم الله تعالى فى أول الكتاب [2].

2/ على الدولة المسلمة أن تهتم بتعظيم اسم الله تعالى والتشرف بذكره في المحافل والمناسبات والكتابات . فهذا شعار المؤمن وتنزيه هذا الاسم المقدس عما لا يليق به ، والحفاظ عليه من جهل الجهال .

3/ التحلي بأدب الخطابة ، وخصوصاً في مجال الدعوة إلى الله تعالى فى مكاتبات الملوك ورؤساء الدول ، مطلوب شرعاً .

4/ على الدولة الإسلامية أن يكون خطابها الدعوي ملتزماً بالجدية في دعوة الناس وأن تراعي شمولية الإسلام وتتوخى الاختصار[3].

5/ إذا ورد على إنسان كتاب بالتحية ونحوها ينبغي عليه أن يرد عليه لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر ، وروي عن ابن عباس : أنه كان يرى رد الكتاب واجباً كرد السلام .

6/ اتفق العلماء على كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) فى أول الكتب والرسائل وعلى ختمها وعلى هذا جرى الرسم . وقال بعض الأدباء : من كتب كتابا ولم يختمه فقد استخف به .

ثالثا : بلقيس تطلب المشورة من قومها والحوار الذى دار بينها وبينهم :

قال تعالى : **(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ).**

1/ في استشارة بلقيس للملأ من قومها إشارة إلى أهمية الشورى فى الحكم ، وكونها ركنا هاماً من أركان العدالة والحرية ، وأسلوباً مطلوباً لتبادل الآراء ، وتلاقح الأفكار للوصول إلى أفضلها

2/ المشاورة أمر مطلوب فى كل شيء عام أو خاص ، ما لم يكن سراً لأنها تحقق نفعاً ملحوظاً ، خصوصاً في الحروب والمصالحات ، وقضايا الأمة العامة ، فإنه ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم .

3/ يبدو أن الحكم في مملكة سبأ كان شورياً ، فلم تكن الملكة تنفرد باتخاذ القرارات . بل كانت تشارك كبار رجال دولتها وتستشيرهم فى الأمر .

ولعل هذا يعد نقله حضارية كبيرة في نظام الحكم عند مملكة سبأ في ذلك الزمان السحيق حين كانت أنظمة الحكم استبدادية ، فردية مطلقة ، فالحاكم هو الذي يقرر ما يشاء وما على الرعية إلا الموافقه والتنفيذ .

رابعا :- عناصر القوة :

قال تعالى : **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ)** .

1/ إن القوم في هذه الآية أظهروا لملكتهم أمرين :

- أحدهما إظهار القوة (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) قوة العتاد والأجساد ليتبين لها إن هي أرادتهم للدفع والحرب وجدتهم حين تريد .

- والآخر(والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين) وفي ذلك إظهار الطاعة لها إن أرادت السلم .

وفي تسليم الأمر إليها بعد تقديم ما يدل على القوة والشجاعة حتى لا يتوهم أنه من عجز .

2/ في هذا القول إشارة إلى أن عناصر القوة لأي أمة ولأي جيش هى قوة العدة والعتاد ، وشدة البأس والشجاعة والإقدام ، ووحدة الصف والولاء للقائد

خامساً: الهدية والرشوة

(قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (*) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ).

نلاحظ من هذه الآيات ما يلي:

1. أن يدرس الداعية تاريخ الأمم ، ويستخلص منه العبر فهو ذاكرة البشرية وسجل أحداثها ، يوسع آفاق الداعية ، ويعينه على فهم الواقع الماثل ، وهذه الملكة قد وعت التاريخ وعرفت سيرة الملوك وأعمالهم حين يحاربون .

2. أحست بلقيس من كلام أولي الأمر من قومها حرصهم على الحرب وميلهم إليها ، ولكنها لا تريد أن تخوض غمار معركة لا يحمد عقباها .

فقد لجأت إلى سلاح آخر ، وهنا تظهر(المرأة) من خلف الملكة ، فالمرأة تكره الحروب والتدمير بحسب فطرتها وطبيعتها الأنثوية ، والتي تلجأ إلى سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تلجأ إلى سلاح القوة والمخاشنة.

3. أرادت المرأة بهذا الصنيع وهو إرسال الهدية اختبار سليمان عليه السلام ومدى جديته في الدعوة إلى الإسلام . وهل هو رجل دعوة ، أم طالب دنيا . فإن كان نبياً لم يقبلها ولم يرض إلا اتباعهم على دينه ، وإن كان ملكاً غير مرسل فإنه يقبلها.

4. أطلقت الملكة على المال المقدم لسليمان (هدية) وهكذا نرى المفسدين يسمون الباطل بغير مسمياته الحقيقية ، فالخمر عندهم مشروبات روحية ، والربا فوائد مصرفية ، واللهو والمجون ترويح عن النفس ، والاختلاط بين الجنسين إزالة للحواجز النفسية وهنا أطلقت اسم الرشوة التي قدمتها إلى سليمان هدية.

5. الهدية إن قصد بها شراء الضمائر والذمم وتضييع الحقوق وإسكات الألسنة عن النطق بالحق فهي رشوة محرمة.

6. وإن كان لا يقصد بها ذلك وإنما القصد نشر المحبة فهي مستحبة ومقبولة[4].

سادساً:موقف سليمان من الهدية والرشوة :

قال تعالى : **(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آَتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (*) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)**.

نستخلص من هذه الآيات ما يأتي:

1. في رد سليمان للهدية إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه الحاكم من العفة والأمانة والعزة والكرامة والنزاهة والثبات أمام الإغراءات والمساومات للتراجع عن قيم الدنيا وثوابت التوحيد ، وأهل الكفر دائماً مشغولون بنعيم الدنيا ومنبهرون ببريقها.
2. استعلاء سليمان - عليه السلام- على إغراء المال ، وقطعه لطريق المفاوضة والمهادنة ، وعدم إضاعة الوقت في الرسل والمبعوثين يجعله قدوة للحكام المسلمين في مواجهتهم للأعداء .
3. في رد سليمان لأمير الوفد (ارجع إليهم) درس مهم لما ينبغي أن يكون عليه الحاكم المسلم من القوة في الحق والشدة مع أعداء الله و الصمود أمام مكائدهم . قال تعالى **(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)**[5].
4. المقدرة على اتخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب ، للمكان المناسب وعدم التردد في اتخاذ القرار الصعب للتغلب على الحال الأصعب .
5. كان الموقف الحازم لسليمان عليه السلام أثره المباشر على الخصم حين استسلمت ملكة سبأ لسلطانه.

فعلى ولاة الأمور أن يأخذوا الأمور بحزم ، وأن يتعاملوا مع الخطر بما يستحقه من ردع وحسم فإن بعض الناس لا تنفع معه إلا الشدة.

6. نلاحظ أن سليمان - عليه السلام - قد ركز على نقطة الضعف التي أظهرتها بلقيس وهي خوفها أن يجعل أعزة أهلها أذلة ، ومن ثم قال : (ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) وكان ذلك من أسباب سرعة استسلامها.

ومن هذا الموقف نتعلم أهمية المعرفة الكاملة للخصم ، ومعرفة نقاط ضعفه حتى يمكن إحراز النصر الكامل عليه[6] .

سابعاً:عرش بلقيس بين يدي سليمان:

قال تعالى:(**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (*) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (*) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**)[7] .

وبتحليل هذه الآيات يتضح لنا ما يلي:

1. استدعى سليمان - عليه السلام - عرش بلقيس (كرسي الملك) من بلاد اليمن إلى الشام ليريها قدرته العظمى ، ويجعله دليلاً على نبوته بأخذه من قصرها ، دون جيش ولا حرب ، وليؤثر في قلب الملكة ليقودها إلى الإيمان بالله والإذعان لدعوته.

2. أن يحشد الداعية قدرته ومواهبه وما ألهمه الله من ذكاء وحكمة ويسخرها في حقل الدعوة منافساً لغيره من الدعاة في نيل مرضاة الله وابتغاء الدار الآخرة قال تعالى : (**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**)[8] .

ونلحظ هنا كيف نافس الذي عنده علم من الكتاب ذلك العفريت من الجن وتفوق عليه ، وما ضنَّ بعلمه ولا بجهده في سبيل الدعوة.

3. في تفوق الذي عنده علم من الكتاب بإتيانه العرش قبل إطباق الأجفان وفتحها أي في لمحة بصر على عفريت الجن الذي وعد بإحضاره قبل أن يقوم سليمان- عليه السلام- من مقامه ، أي في وقت أطول ولكنه سريع وقصير نسبياً.

وفي هذا دلالة على سمو مرتبة العلم ورفعة العلماء في الدنيا والآخرة ، إذا عملوا بعلمهم صالحات الأعمال ، على غيرهم من العباد وعامة الناس.

وفيه أيضاً أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة فذكر هذه القصة تغليب لجانب العلم على جانب القوة [9] .

4. لا مانع من استعمال الذكاء والعقل النير ودقة التدبير في استجلاب قلوب المدعوين إلى الدين واستعمال نعم الله في دلالة الخلق على آيات الحق، ومخاطبة الناس بالكيفية التي تستهوي قلوب عوامهم وتجلب احترام خواصهم .

5. عدم الاغترار بقوة النفس وكثرة الجند ، وسعة السلطان ، وإسناد الفضل إلى الله في كل نعمة ، وتجديد الشكر على هذه النعم فعندما أحضر أحد جند سليمان- عليه السلام- العرش سارع إلى ضبط النفس في سلك الخشية ومنهاج التواضع والطاعة لرب العالمين ، قال : **(قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي.....)** .

6. على الداعية أن يشكر نعم الله عليه ويقرّ بها ، ويدرك أنها للابتلاء ، تدوم بالشكر والعرفان وتزول بالجحود والنكران.

7. في قول سليمان عليه السلام دليل على أن الابتلاء كما يكون بالشر ، فقد يكون بالخير ، وأن اختبار الله للعباد تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا .

ثامنا : قدوم بلقيس إلي سليمان وتنكير عرشها

قال تعالى : **() قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (*) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (*) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)** .[10]

ونلمح من هذه الآيات ما يلى : -

1/ كانت ملكة سبأ ذكية أمام السؤال عن العرش حين قيل لها : أهكذا عرشك ؟ .

فلما رأته ، لم تجزم بأنه ليس هو لأنه يشبهه تماما ، ولم تثبت أنه هو . ويجوز أنها قد عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها : هكذا عرشك . لقالت : نعم هو .

وفى ذلك استشارة للبحث ، وإمعان النظر ، وإعمال العقل ، وقد بدأ كل فى جواب بلقيس (كأنه هو) .

مطابقة الجواب للسؤال يدل على بلاغتها وفطانتها ، فإذا كان العرش قد نكر ، والسؤال قد صنع بأسلوب محير ، فإن جوابها أيضا لم يكن قاطعا ، فترك المخاطب فى حيرة فهى لم تثبت ولم تنف .

فى ذلك ما يدل على رجحان فكرها ، واتساع أفقها ، وبلاغة تعبيرها .

2/ لعل فى قصة العرش وتنكيره تدريب لها حين تمعن النظر فى عرشها وتتوصل إلى التثبيت من أن هذا العرش المنكر هو عرشها ، ففي ذلك دعوة إلى النظر مرة أخرى ومراجعة نفسها فى أمر دينها .

3/ في قول سليمان **(وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)** إن حمل المعنى على ظاهره فيدل قوله على أن قومه بني إسرائيل كانوا أسبق في معرفة الحكمة ، وحضارة الملك من أهل سبأ لأن الحكمة ظهرت في بني إسرائيل منذ عهد موسى .

4/ أما عن تشخيص الداء الذي يعاني منه أهل سبأ فقد أرجع سليمان عليه السلام سبب ما هم فيه من كفر إلى البيئة الفاسدة ، قال تعالى : **(وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)** فإن فساد بيئتهم هو الذي أثر عليهم تأثيرا ضارا . كما أشار أيضا بطرف خفي إلى بيئته الصالحة بأن كانوا مسلمين قبل إسلامها.

فالذي صدها عن توحيد الله ، وإخلاص العبادة له فى نظر سليمان عليه السلام هي البيئة الكافرة وليس الشيطان كما اعتقد الهدهد في قوله **(وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)**. فهنا نسب الهدهد (الصد) عن الإيمان بالله إلى الشيطان .

تاسعا : دخول بلقيس الصرح وإسلامها

قال تعالى : **(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**[11] .

1/ أراد سليمان أن يقدم لملكة سبأ مفاجآت ، الهدف منها إظهار ضعفها وجهلها وهذه المفاجآت هى :

(أ) إحضار العرش من سبأ بعد خروجها لسليمان عليه السلام ووضعه أمامها عند دخولها عليه .

(ب) تنكير العرش بتغيير بعض معالمه البسيطة .

(ج) بناء صرح أي ممر زجاجى لتمشي عليه ويبدو أن الماء كانت تحته ليوهمها أنها ستخوض ماء .

2/ أراد سليمان عليه السلام ببنائه الصرح أن يريها عظمة ملكه وسلطانه وأن الله سبحانه قد أعطاه من الملك وأسباب العمران والحضارة فضلا عن النبوة التي هي فوق كل ملك .

3/أدركت ملكة سبأ خطأها وعرفت أنها لا تملك شيئا بالقياس إلى قوة سليمان، وأنها عاجزة عن مقاومته . كما أدركت أنها على باطل لأنها مشركة بالله ، وأن سليمان على حق ، فقذف الله في قلبها الإيمان .

ومكمن العبرة أنه لم يصدها علو شأنها ، أو عظمة سلطانها على أن تنظر فى دلائل صدق الداعي إلى التوحيد . وتوقن بفساد الشرك وتعترف بالوحدانية لله .

4/يجب علي المدنية الإسلامية أن تأخذ بأسباب العلم بحيث تكون أرقى المدنيات لأن فى ذلك إخضاعاً نفسيا لبقية الشعوب وأهلها .

5/ تبلورت قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس في تلك الخاتمة المشرقة وهي تبرؤ بلقيس من الشرك الذي كانت عليه ، وإعلان إيمانها بالله الواحد الأحد ، وإظهار إسلامها كإسلام سليمان عليه السلام وخضوعا لله رب العالمين [12] .

الخاتمة

هذا البحث الموسوم ب (قصة سيدنا سليمان - عليه السلام- مع ملكة سبأ الدروس والعبر) يهدف إلى التدبر في كلام الله سبحانه وتعالى حيث يدعوننا دعوة قوية إلى ذلك .

تناول البحث قصة سيدنا سليمان - عليه السلام- مع ملكة سبأ والتي وردت أحداثها من الآية (20) إلى الآية (44) في سورة النمل.

وتبدأ القصة بحادثة غياب الهدهد عن المكان الذي يجب أن يكون فيه ، وفقد النبي سليمان له وتوعده الشديد له جراء هذا العمل ، وتظهر لنا هنا شخصية سليمان- عليه السلام- الملك العادل الذي يتفقد رعيته ، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنهم ، كما يظهر لنا حزمه وقوة شخصيته كحاكم دولة حين يرى تقصيراً أو تكاسلاً في عدم تنفيذ الأوامر وأداء المهام الموكلة لكل فرد من أفراد الدولة .

ثم أوضحت ما يستفاد من حادثة عودة الهدهد من سبأ بأخبار تلك المملكة التي تحكمها امرأة ووصف عرشها واستنكاره لعبادتهم الشمس وتقديم فروض الطاعة لها دون الله وحده الواحد القهار .

بينت موقف بلقيس من رسالة سيدنا سليمان - عليه السلام- ومناقشتها لقومها هذا الموضوع وقرارها بإرسال الهدية إلى سليمان - عليه السلام- وبيان حادثة إحضار عرشها إلى مكان إقامته وإسلامها ودخولها في دينه الذي يدعو إلى توحيد الله عز وجل ، ونبذ عبادة الشمس والتوجه نحو الدين الحق لله رب العالمين .

أهم النتائج

نخلص من هذه الدراسة والتي جاءت عن قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ . والتي حكى الله وقائعها في سورة النمل من قوله تعالى : **(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ.....**) النمل "20" ، إلى قوله تعالى : – (.....**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** النمل "44" في النقاط الاتية:

1. إن في القصص القرآني كثير من العظات والعبر ، والتي تمثل الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة ، الواجب الأخذ بها في كل زمان وفي كل مكان.

2. إيضاح أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي بعث الله بها كل نبي **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)**[1].

3. بيان أهمية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . وأنها وظيفة الأنبياء والرسل ، وهي من بعدهم مكلف بها كل فرد من أفراد المجتمع صغيره وكبيره **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)**[2].

4. تثبيت قلوب المؤمنين على دين الله ، وتعزيز ثقتهم بنصرة الحق وجنده ، وخذلان الباطل وأهله **(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)**[3].

5. المسابقة لفعل الخيرات والمبادرة إلى عمل الطاعات وكل الأعمال التي تقربنا إلى الله زلفى وقد امتدح الله في كتابه العزيز المؤمنين الذين يتسابقون إلى أداء الخيرات فقال: **(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (*) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)**[4] .

6. الدعوة إلى تحصيل العلم ، والأخذ بنصيب وافر منه فهو الوسيلة الوحيدة للفوز بخير الدنيا ونعيم الآخرة ، وبه يعبد الله حق عبادته ، وبه يعرف الحلال والحرام وما يحب الله ويبغض ، قال تعالى : **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)**[5].

7. أهمية تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة ، وأن يتفقد الرجل أهل بيته وأبناءه ، وأن يعمل على تنشئتهم وفق تعاليم الشرع وضوابط التوحيد ، وذلك بأداء الواجبات وترك المعاصي المهلكات ، قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**[6].

8. وجوب تأكد الحاكم من صحة الكلام الذي يقدم إليه وعدم قبوله مباشرة بل لابد من التروي في تصديق الخبر. قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)**[7].

و أن لا تعجل الجماعة في تصرف بناءً على خبر فاسق ، فتصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع ، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله.

9. على الدولة الأخذ بمبدأ الشورى في كل شيء عام أو خاص ما لم يكن سراً لأنها تحقق نفعاً ملحوظاً ، خصوصاً في الحروب ، والمصالحات وقضايا الأمة العامة ، فإنه ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم.

10. عدم الاغترار بقوة النفس ، وكثرة الجند وسعة السلطان وإسناد الفضل إلى الله في كل نعمة ، وتجديد الشكر عليها.

وعلى الداعية أن يشكر نعم الله ويقر بها ويدرك أنها إبتلاء من عنده . تدوم بالشكر والعرفان ، وتزول بالجحود والنكران.

11. الاهتمام بتنشأة الأبناء على القيم الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، وتهيئة الجو الإسلامي ، والبيئة الصالحة الملتزمة بتعاليم الشريعة ، وأحكام الدين ، فالذي صد ملكة بلقيس عن الإيمان بالله وإخلاص العبادة له هي البيئة الكافرة وليس الشيطان كما اعتقد الهدهد في قوله : **(وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)**[8].

التوصيات

1- قراءة القرآن الكريم قراءة تدبر, لاستخراج العظات والعبر التي تعين المسلم على أمور دينه ودنياه .

2- القيام بالدعوة إلى الله تعالى واجب على كل فرد من أفراد المجتمع كل حسب قدرته وحسب جهده وطاقته .

3- ترسيخ مبدأ الشورى في المجتمعات الإسلامية ، يجهر بها الرعايا ويسمعها الحكام، بغير تجريح ولا تعنيف .

4- ولاة الأمور عليهم الاهتمام برعاياهم وتفقد أحوالهم وقضاء حوائجهم ، ورفع المعاناة عنهم .

5-الاهتمام بقضايا المرأة والعمل على تعليمها وتدريبها وتوظيفها في الوظائف التي تلائم تكوينها الجسدي والنفسي وفق ما قضى به الشارع الحكيم .

الهوامـــش

المقدمة :

1. الأنبياء /25.

<u>أولاً: تفقد الطير وغياب الهدهد :-</u>

1. الموسوعة العربية العالمية , ثلاثون جزءاً , الطبعة الثانية , (السعودية : الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر دار التوزيع 1419هـ - 1999 م)/ 87/13 .

2. المصدر السابق : 96/5. 3. النمل /17 . 4. المائدة 31/30.

5. الأعراف /31.

<u>ثانياً: المتهم برئ حتى تثبت إدانته :-</u>

1. النمل /21 . 2. سيد قطب , في ظلال القرآن , ستة مجلدات , رقم الطبعة (بدون) , (لبنان : بيروت : دار الشروق سنة 1369هـ - 1976م) , ج5 , ص 2632 – 2643 .

2. أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , عشرة أجزاء , (بيروت : دار إحياء التراث العربي , سنة 1965م). ج7 , ص 167 – 168.

محمد بن عمر بن حسين القرشي المعروف بالفخر الرازي ، التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ، 17 جزءا ، (بيروت : دار الفكر ، 1415هـ - 1999م)ج 12 ،163.

3. شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان , الروض الريان في أسئلة القرآن . جزءان . الطبعة الأولى تحقيق : عبد الحليم بن الأنصار السلفي , (السعودية : المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم) سنة 1415هـ - 1994 م , ج1 , ص 294 .

جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، 4 أجزاء ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الكتب العلمية 1415هـ - 1995م)3/ 143 ، 3 / 359

4. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي ، أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها ، (قم : محمد علي الأنصاري) 256

5. شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 15 جزءا ، (بيروت: دار الفكر سنة 1408هـ)ج10 /183- 184

الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، (تونس : الدار التونسية للنشر 1406هـ -1986م)9 /246- 247

6. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى, المفردات في غريب القرآن , تحقيق: محمد سيد كيلانى, (بيروت : دار المعرفة) , ص 420.

7. أبو يعلى الحنبلي , الأحكام السلطانية , (القاهرة : مطبعة الحلبى) بدون تاريخ , ص 293.

ثالثاً: العودة بالخبر اليقين : -

1. الهادي أحمد محمد كباشي , العمليات الإستخبارية في قصص القرآن الكريم والسيرة النبوية , طبعة أولى , (السودان : جامعة السودان المفتوحة 2007م) , ص 99 – 123.

2. طه /114. 3. الإسراء /85. 4. الجن / 26 - 28.

5. وهبة الزحيلى , التفسير المنير, 16 جزاء , طبعة أولى , (دمشق : دار الفكر , سنة 1991م). 288/19.

6. أبوبكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي , أحكام القرآن : طبعة أولى تحقيق : محمد عبد القادر عطاء , (بيروت : دار الكتب العلمية سنة 1408هـ) 356/3.

رابعاً: وصف مملكة سبأ وبيان ضلالهم وفساد إعتناقهم :-

1. النمل /23 – 26.

2. التفسير الكبير للفخر الرازي 163/12- 164 وتفسير القرطبي 172/7.

3. العلق /19.

4. رواه الإمام مسلم حديث رقم 482.

5 . الحجر /39.

6. النازعات /31. 7. ق /42 .

خامساً: الهدهد سفير سليمان (عليه السلام) إلى مملكة سبأ :-

1. تفسير الفخر الرازي 24/ 193 . وعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب القرشي الدمشقي, تفسير القرآن العظيم , 4 أجزاء , (بيروت : دار الفكر سنة 1414هـ - 1994م) 349/3 .

2. تفسير روح المعاني للألوسي 193/9.

3. ذكره البخاري في المغازي 424 باب 82 كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى كسرى وقيصر, تفسير القرطبي 178/7.

سادساً: موقف بلقيس من رسالة سيدنا سليمان عليه السلام :-

1. تفسير ابن كثير 161/3 مرجع سابق .

2. الروض الريان في أسئلة القرآن لشرف الدين الريان 295/1 مرجع سابق والحسن بن محمد النيسابوري , غرائب القرآن ورغائب الفرقان , طبعة أولى . تحقيق : الشيخ زكريا عمران , (بيروت : دار الكتب العملية , 1416هـ - 1996م), ص99.
3. وهبة الزحيلي , التفسير المنير 296/10(مرجع سابق).
4. صلاح الخالدي . كنوز القرآن , ص 196.
5. البقرة /217.
6. الألوسى , روح المعاني , 201/10 (مرجع سابق) . وعلى محمد الصلابي , فقه التمكين في القرآن الكريم . الطبعة الأولى , (عمان : دار البيارق , سنة 1999م) , ص 152.
7. النمل /38 – 40.
8. المطففين / 26 .
9. ابن عاشور , التحرير والتنوير 271/9 (مرجع سابق).
10. النمل 43/41 .
11. النمل 44.
12. صلاح الخالدي , من كنوز القرآن , ص 200 (مرجع سابق) , وابن عاشور التحرير والتنوير 277/9 (مرجع سابق) . و الفخر الرازي , مفاتيح الغيب 172/12 (مرجع سابق).

<u>أهم النتائج :</u>-

1- الأنبياء /25 . 2- آل عمران /110 3- هود /120.

4 - المؤمنون /60 – 61 5- المجادلة /11 6- التحريم /6.

7- الحجرات /6 8- النمل /24.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .

2- الألوسي : شهاب الدين السيد محمود . روح المعانى في تفسير القرآن والسبع المثانى . 15 جزءاً . بيروت . دار الفكر سنة 1408هـ.

3- الرازي : محمد بن عمر بن حسين القرشي المعروف بالفخر الرازى . التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب . 17 جزءاً . بيروت . دار الفكر سنة 1415هـ - 1995م.

4 – ابن ريان : شرف الدين الحسين بن سليمان. الروض الريان في أسئلة القرآن . جزءان . الطبعة الأولى . تحقيق : عبدالحليم بن نصار السلفي . السعودية . المدينة المنورة . مكتبة العلوم والحكم 1415هـ - 1994م .

5- الزمخشري : جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . 4 أجزاء . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية سنة 1415هـ - 1995م.

6 - سيد قطب : في ظلال القرآن . ستة مجلدات. لبنان : بيروت : دار الشروق . سنة 1369هـ - 1976 م .

7- الشوكاني : محمد بن على . فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية من علم التفسير . خمسة أجزاء . بيروت : دار إحياء التراث العربي . (بدون تاريخ) .

8- القرطبي : أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصارى . الجامع لأحكام القرآن . عشرة أجزاء. بيروت : دار إحياء التراث العربي . سنة 1965م.

9 – القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى . الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام . تحقيق . أحمد حجازى السقا. القاهرة : دار التراث العربي 1398

10 – ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب القرشي الدمشقي . تفسير القرآن العظيم. 4 أجزاء . بيروت : دار الفكر سنة 1414هـ - 1994م.

11 – محمد بن الطاهر بن عاشور . التحرير والتنوير . تونس : الدار التونسية للنشر 1406هـ - 1986م.

12- نخبة من العلماء : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة . الطبعة الأولى. السعودية . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد 1421هـ.

13- النيسابوري : الحسن بن محمد . غرائب القرآن ورغائب الفرقان . طبعة أولى تحقيق : الشيخ زكريا عمران . بيروت : دار الكتب العلمية 1416هـ - 1996م.

14- الهادي أحمد محمد كباشي , العمليات الإستخبارية في قصص القرآن الكريم والسيرة النبوية , طبعة أولى , (السودان : جامعة السودان المفتوحة 2007م)

15 – وهبة الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . 16 جزء . طبعة أولى . دمشق : دار الفكر 1991 م.